أتمنى على مهرجان دعم سينما الشباب أن يهتم بالشباب الذين دعموا المهرجان

رنا ريشة لـ«الوطن»: «الرابعة بتوقيت الفردوس» خطوة أساسية في حياتي المهنيّة

عامر فؤاد عامر

حالة، دائمة البحث باجتهاد عن فرصة تشبه دواخلها، إن كان في الدراما التلفزيونيّة أم في السينما تستثمر فيه طاقاتها ودراستها الأكاديمية. تمتلك وجهاً جميلاً في السينما، وحضوراً لافتاً، وهذا ما كان في فيلم «الرابعة بتوقيت الفردوس»، وفيلم «بانتظار الخريف»، وتعدنا بدور مختلف في فيلم «الحرائق» الجديد، وتحافظ على فكرة الابتعاد عن عمليّات التجميل. لها تجارب متعددة في الدراما التلفزيونية مثل «أرواح عارية»، و«رفّة عين»، وغيرها، لكنها ابتعدت عن العمل في هذا الموسم بقرار شخصي بعد تجربتها الأولى في الولادة. وعن تجربتّها العائليّة، والسينمائيّة، ومهرجان دعم سينما الشباب، ومواضيع أخرى تحدثنا الفنانة «رنا ريشة» في هذا الحوار.

من مسلسل «زنود الست»

■ هل الالتزام بمشاريع الحياة ومشاغلها يشكل سبباً منطقياً للتغيب عن العمل؟

أقول بكلّ شفافيّة إن مهنة التمثيل تحتاج كمّاً كبيراً من الطاقة، وحضوراً على مدار الوقت، فهي مهنة غير تقليديّة، فيها وقت للتحضير، وآخر للتصوير، وآخر لصقل ما يملكه الممثل، فهي ليست كالمهن التي تتطلب صرف ساعات معينة في مكان ثم العودة إلى البيت، وهنا تكمن الصعوبة فليس هناك وقت محدد أو مكان ثابت، ولدى الالتفات للحياة العائليّة- مشروع ارتباط إضافة إلى زوج وطفلين- ستتشكل مسؤوليّة جديدة على عاتق الممثل تجاه الأسرة الجديدة التي هي جزء من تكوينها، وهذه حالة من التحدّي. ومن الممكن إيجاد حلّ جزئي للموضوع من خلال الاتكال على مربيّة، ولكن بالنسبة لي شخصياً فقد قررت أن يأخذ طفلي الوقت الكامل مني، ومن اهتمامي به، ولاسيما الفترة الأولى من ولادته، فأريد ممارسة واجباتي تجاهه وتجاه زوجي وطفلي، وقررت أن أكون ضمن إطار الأسرة مقابل الابتعاد عن ساحة العمل، فكانت معادلتي هي أن التغيب عن العمل لعدة أشهر لن يخسرني كثيراً مقابل البقاء مع طفلي الجديد خلال هذه المرحلة المهمّة والحسّاسة من عمره، وهنا تكمن مسؤوليتي، ومكافي الصحيح أكثر، والشكل الطبيعي للحياة بين الأم وطفلها، وعموماً أنا مؤمنة بأن المرء لا يتمكن من النجاح في استلامه للكثير من المهام والأعمال فتأتي أشياء على حساب أشياء ونصل لنتيجة من عدم النضوج في نهاية المطاف. لذلك قارنت ما أملكه من معطيات؛ وقررت أن أبقى في مكاني الطبيعي في هذه المرحلة، فلا شيء أهم من ذلك على صعيد حياة الأنثى، كما أن الأعمال التي عُرضت علي لم تكن خاصّة جداً أو مهمّة بالقدر الكافي ولم تجعلني أفكر فيها، فكانت مرحلة تحمل هدوءاً أكثر من أي مرحلة أخرى في حياتي، ولذلك اعتذرت عن فرص العمل وأنا سعيدة بهذا القرار وراضية، فالأمومة هي أجمل دور تقوم به الأنثى في حياتها.

> قررت أن يأخذ طفلي مني وقته الكافي وابتعدت عن العمل لفترة

■ لكن تشاقين للعمل حكماً على الرغم من ظروفك ولاسيما أنك أكاديميّة تبحثين عمّا يشبهك كفنانة؟ فهل هناك أذن مصغية اليوم لشوقك وطموحك؟

الطموح كبير جداً لدي ولدى مجموعة كبيرة من خريجي المعهد العالي للفنون المسرحيّة، وأحياناً أكفر بالوضع الحالي الخاصّ بمهنتنا، من ظرف البلد، إلى ظرف الممثل، والعلاقة مع شركات الإنتاج، ووضع المخرجين، والعاملين في الوسط، والقوانين التي يسير فيها العمل الفنّي... إلخ، كلّ ذلك يقود الفنان أحياناً لخيار أن يقلّص طموحه والذهاب لمكان جيد فقط، أو التخلي عن هذا الطموح كلياً، وتعوّد انتظار الحلم والفرصة بأمل متجدد. منذ تخرجت في المعهد وإلى هذه اللحظة بقيت الصدمة الأولى حاضرة، فالطاقة والطموح ورغبة الإنجاز كلّها موجودة، ولكن الرغبة في الحياة وفي المال والاستمراريّة تجعل من الفنان قادراً على التنازل التدريجي ليمثّل أدواراً ليست ضمن الجودة التي يراها، ثم تأتي فكرة عدم الاعتذار عن أي دور، فالاعتذار عن التمثيل سيغيب الفنان عن الشاشة والعمل، وبالتالي سيستبعد تدريجياً، وهذا الرأي خطير وغير سليم في بلدنا مطلقاً! فطبيعة العمل في بلدنا لا علاقة لها بالتكرار، ولها مقاييس مختلفة جداً، فليس من المهم أن يتعب الفنان ويشتغل، وليس مهمّاً أن يكون حاضراً في كلّ موسم، ولا موهوباً، فهذا غير مهمّ أيضاً، ومن الممكن إقصاء الموهبة في حالات كثيرة! بالتالي لا يوجد ما يرفع من المعنويات للبناء المستقبلي، فالطريقة التي يتمّ العمل على أساسها اليوم من المخرجين والمنتجين والممثلين لا أثق بها ولا أثق بأنها ستتغير على المدى القريب، لأن المقياس الرائج اليوم ليس ضمن قالب محدد، ولا ضمن قانون محدد في مهنتنا اليوم.

■ إذاً ما القواعد أو القوانين التي تحكم العمل الفنّي في بلدنا؟

لا قوانين، بل الذي يحكم ويسود هو العشوائيّة في المهنة، وأحياناً نقرأ على الورق أدواراً مكتوبة بمواصفات حددها الكاتب لكن عند العرض تفاجأ بأن من يجسّد الدور شخصيّة لا علاقة لها بتلك المحددات، وبالتالي رغبة المخرج، ورأي المنتج، والأجر الأقل، هي من القواعد التي يمكن استقراؤها في هذا الوسط الفنّي. فلا قانون للعمل في مهنة التمثيل، والواسطة والعلاقات تحكم كلّ شيء والبقاء للأقوى في علاقاته طبعاً. لذلك نصل في النتيجة إلى أن المادة التجارية هي الطاغية.

■ لكن يبقى هذا مؤقتاً، فصاحب الموهبة حضوره غلاب، وجوهر الموهبة لن يختفي. هل أنت مع هذا الكلام؟

نعم يبقى هذا الكلام حقيقياً، لكن إذا كان لدينا جوهرة وتُركت لوقت ولم تُلمّع ألن تخسر البريق مع مرور الزمن؟! ألن تتغير ألوانها أيضاً؟! بالتالي انتظار عشر سنوات مثلاً ألا يحتاج إلى جهد! ألا يحتاج إلى صبر! فالوضع الراهن يدعو الممثل لأن يصبح كثير الكلام، وكثير العلاقات، ويفرض نفسه في كلّ الأجواء، ويتمتّع بالطرفة، والحنكة، والمقدرة على إضحاك المخرج، وإتقان حركات بهلوانيّة مُمتعة للمخرج أو المنتج كي يحصد فرصةً ما، أو أن يكون صاحب رقصة جميلة في البارات أو مقدرة على الاستعراض القويّ للفت الانتباه، وجذب الأنظار، واستخدام كلّ الوسائل الجسديّة لجذب الفرصة والدور.

■ هل تابعت كلّ الأعمال منذ ٥ سنوات مضت؟

إذا لم أتابعَها كلّها؛ فيمكنني القول إنني تابعت نصفها، فهناك تشابه كبير بين كل ما يُقدمه، والمادة التجارية هي الطاغية اليوم، ولم يجذبني أي دور في المسلسلات التي تابعتها.

■ يُعنى مهرجان دعم سينما الشباب بالشباب، لكنه يهتم أكثر بأسماء قد لا تكون على علاقة بكلّ عناوين المهرجان؟

في الدورة الأولى للمهرجان كان لدينا مجموعة من أسماء الشباب الطموحين، ولم أرفض أي اتصال من أي شخص أراد أن يقدّم أو يتعلّم أو يستشير، فكانت الحصيلة أن أكون حاضرة في ٩ أفلام، مع ملاحظة أنه لا أجور حقيقيّة في هذه المشاركات بل هي من أجل دعمهم والوقوف إلى جانبهم، وفي الدورة الثانية كنت كذلك على رغبة في تشجيعهم وأعتقد أنني معنيّة بالموضوع لكوني ممثلة شابة خريجة في المعهد العالي للفنون المسرحيّة، ولا بدّ أن أدعم الشباب في محاولاتهم، فهم بحاجة الفرصة، ومن المفروض أن أكون معهم وأقدّم يدّ العون لهم، والنتيجة أن ٣ من الأفلام التي شاركت فيها حصدت الجوائز، وأعتقد أن في الدورة الأولى لم يكن هناك من هو مهتم به من نجوم البلد، ولاحظت التغيير في الدّورة الثانية إذ ارتفع منسوب الاهتمام به، أمّا في الدورة الثالثة فقد اعتذرت عن ٥ أفلام بسبب ظرفي العائلي، لكن في الدورة الثالثة اختلفت المعايير في الأساس الذي اعتمده المهرجان. كنت أتمنى أن يكون هناك اهتمام أكبر بالممثلين الشبان الذين قدّموا لهذا المهرجان منذ بدايته.

– تكرر حضورك في الأفلام السينمائية فلماذا برأيك؟

يقول أصدقائي إنني «ممثلة السينما» لأني ظهرت في ٣ أفلام طويلة، اثنان مع المخرج «محمد عبد العزيز» وآخر مع المخرج «جود سعيد»، إضافة لـ١١ فيلماً قصيراً كدعم لأفلام المنح الخاصّة بالشباب.

■ هل من الممكن أن تكون سياسة المؤسسة هي الابتعاد عن التكرار في الوجوه؟

ليس هذا هو المقياس في المؤسسة لأن هناك وجوهاً تتكرر دائماً لكن على أرض الواقع تم إنجاز ٦ أفلام سينمائيّة ولم أتلق أي عرض فيها.

■ قدّمت دوراً مهمّاً في فيلم «الرابعة بتوقيت الفردوس»، لكن لم يَتمّ تسليط الضوء كفاية على جهدك في هذا الدور؟ أذكر ردّة فعل الناس في مهرجان «وهران» السينمائي عن دوري، وكيف تكلّمت لغة كرديّة، وكيف كان الاختلاف والتباين بيني وبين شخصيّة «ديرسن» في الفيلم. هناك شعرت بالتقدير والاهتمام، وهذا يجعلني متأكدة أن الاهتمام بالسينما عربياً أفضل من الاهتمام محلياً، فتقدّر الجهود هناك، وتُهمل الجهود هنا.

اعتبر هذا الفيلم هو الخطوة الأساسية لرنا ريشة، والذي قدّمني بصورة مهمّة حملت حالة من الرضا، فهو المرحلة الأهمّ في العمل الخاصّ بي، فقدّمني الدّور بصورة جيّدة، ودوري لا كلام زائداً فيه، بل بحاجة لطاقة مكرّسة توضح علامات هذه الشخصيّة التي تحتاج إلى حسّ داخلي قوي، واجتهدت على هذا الدور كثيراً، ولامست الشخصيّة بصدق، وقد واجهت أشخاص أكراداً أبدوا إعجابهم لدرجة أنهم اعتقدوا أنني أنتمي لهذه القوميّة. لكن أيضاً دوري في فيلم «بانتظار الخريف» للمخرج «جود سعيد» من أحبّ المحطات إلى قلبي.

■ شاهدناك في بطولة فيلم «بانتظار الخريف» للمخرج «جود سعيد» لكن بصورة مختلفة تماماً؟

كان لهذا الفيلم تجربة ومنطق مختلفان عما اشتغلته مع المخرج «محمد عبد العزيز»، وهي مرحلة ممتعة في حياتي فخلال ٤ أشهر مكثت مع أشخاص جدد وإخراج مختلف للمخرج «جود سعيد» عما اشتغلته في السابق مع مخرجين آخرين، فكانت تجربة جميلة مع أسرة جديدة، وأحببت خلال هذه التجربة أن أقدّم الشخصيّة القويّة «نور»، ابنة ضابط الجيش، لكن هذه الشخصيّة في وقت المواجهة الحقيقيّة تصبح شخصيّة حقيقية تشبه الناس وطيبتهم وتتفاعل لديها المشاعر الإنسانية لتظهر بصورة تشبه الناس بمحبتهم ورقيهم وتعاملهم اللطيف، وكانت تجربة جديدة لي حيث إنها تتحدّث بلهجة سكان المنطقة الساحليّة، ولذلك أخذت مني تركيزاً كبيراً في العمل عليها.

■ حدثينا عن التجربة في فيلم «الحرائق» للمخرج «محمد عبد العزيز» الذي لم يعرض بعد؟

العمل مع المخرج «محمد عبد العزيز» له شقّان الأول ممتع جداً والآخر متعب جداً، ولا ينفصل الأول عن الثاني، بل التقاطعات حاضرة بينهما، ومرحلة التحضير للعمل هي مرحلة أساسية لديه، ولا بدّ من الاهتمام بالبروفات والتحضير النفسي قبل مرحلة التصوير... في فيلم الحرائق أُصبت أثناء التصوير في رجلي، ووقعت أثناء الجري من شدّة الألم، وتسبّبت الإصابة بتغيبي عن التصوير مدّة من الزمن، لكن أعتقد أن دوري في هذا الفيلم سيقدّم شيئاً جديداً لي في التجربة السينمائيّة.

■ هل تغارين من زوجك لأن مهنة كلّ منكما ملتزمة بالأخرى؟

لم يسبق أن غرت من ممثلة؛ لكن من زوجي فقد غرت، لأنه يشكّل الشخص الذي يمتلك أشياء أحبّ أن تتوافر لدي أيضاً، «محمد عبد العزيز» شخص غني ثقافياً، ومعرفياً، وعلمياً، وإنسانياً، فأشعر أنه قدوتي ويتمازج شعوري بين الغيرة وحبّ التعلّم منه.

■ الحياة مع فنان أمر صعب لأن الفنان يتصف بالمزاج المتقلب والغريب فكيف حين يكون كلاكما فناناً؟

برأي كلّ منّا، الارتباط من شخص من الوسط الفني هو مسألة صعبة وفيها تحدّ، ولكن مزاجيّة الممثل والمخرج تتشابه كثيراً، فكلّ منّا بحاجة للآخر لكي ينجح في مسيرته ومشاريعه.

وأعتقد أن القصة لا علاقة لها بممثلة ومخرج بل لها علاقة بتقبل الآخر، فعندما أكون متصالحة مع فكرة تقبّل هذا الشخص، فهذا يعني أنني سأتحمل مسؤوليّة قراري.

■ هل من مشاريع جديدة لمسرح الطفل؟

عُرض عليّ أكثر من عرض في هذا المجال؛ ولم أستطع الموافقة عليها لظرفي، ولكن وافقت على عمل مسرحي للأطفال في شهر ١١ القادم بعنوان «غابة السناجب» مع المخرجة «ميادة إبراهيم».

> تتشابه مسلسلاتنا اليوم والمادة التجارية هي الطاغية

من فيلم «الحرائق»

المخرج محمد عبد العزيز يعد لمشهد في فيلم «الرابعة بتوقيت الفردوس»

نافذة

قفزة إلى المجهول

تهدد عوالم الغرب الذي نظر إلى المعلوم وحاول السطو عليه، إلا أنه وجده محصّناً ذاتياً أولاً، وثانياً اعتبر أن لديه قوى تساعده، وتعمل بجدية فائقة معه من أجل الحفاظ عليه، وتعزيز ثباته واستمراره، نعم نحن نحيا في زمن غير عادي، نواجه فيه تغيّراً حاداً في الأخلاق والطبائع والحياة بشكل عام، كما أننا نشهد الآن توقفاً من أجل إعادة شاملة للبحث عن طرق جديدة في التفكير والعمل، حتى إنّ كوكبنا الحيّ يتغير مناخه وحركة دورانه ومركزه الكوني آخذاً بالانحراف، ما زاد من فرص الحروب والفساد، والهلع والخوف، والعداوة الدينية الناشئة عن العداوة السياسية، لم يعد المستقبل آمناً، وأي قفزة باتجاهه تعني الذهاب إلى المجهول، فعالم اليوم ينذر بالخطر، والفوارق الطبقية اتسعت بشكل مذهل، وغدا التشاؤم يسيطر على التفاؤل، القلق يعدو بتسارع مرعب إلى عقول وقلوب البشرية، الكل دخل هذا الأتون، التنبؤ والاستقراء انتهى مع انتهاء النبوات والرسل والأولياء، لأن البؤس الحادث في الحاضر المادي يتطور بدلاً من أن ينحدر إلى الأدنى أمام عدسة الحداثة، حيث ترصد الأفكار الوهمية التي تطرح على شكل مبادرات في مجالات تطوير الطاقة ومكافحة الإرهاب والتخلف والتكاثر والجشع وتحقيق الانتعاشات الاقتصادية، وتغطي في الوقت ذاته النهب المستمر لدول العالم الثالث وأحداث القتل والسلب بأسماء مستعارة؛ الله، الدين، الطائفية، الحاجة إلى استبدال النظم، الربيع، الخريف، الشتاء، الصيف... تداهنات مرعبة تقع بين القوة الاستعراضية والثقافة الرخيصة، وطرح المساعدات والإغاثات والاحتواء والانفلات، حبّ مدفوع الثمن، وكره منتج، يوزع بين هنا وهناك، تقوم بها مكاتب للبحث والتحري الأمني والسياسي، بنيت في أقبية الغرب، تستدرج أبناء العالم الثالث إلى معارضات تهيئ لهم الدعم والداعمين داخل وخارج دولهم، ترمي بالمطالبات بين أفراد المجتمعات، حرية- ديمقراطية- عدالة- حقوق- مساواة بين الرجل والمرأة، وبين الرجل والرجل، توسع دائرة الاتهام والإشارة إلى أشخاص بعينهم؛ ساسة واقتصاديين واجتماعيين، تتهمهم بالتورط بالفساد والتّعدي على كل شيء، والغاية الاغتصاب بكل أشكاله، وانتهاك الحريات العامة والخاصة، ومن ثمّ تجييش الرأي العام بأن هناك اضطهاداً للرأي، وانتقاماً من كل من يعارض، أو يدعم المعارضين، الموالين، الرماديين.

اتهامات بالشوفينية والديكتاتورية والعنصرية، ديمقراطيات مزيفة ما هي إلا ديكتاتوريات مؤنقة، تستعبد البشرية، تحولهم إلى مكنات أفكار مبطنة بالخبث السياسي، تعمل ليل نهار بغاية واحدة، ألا وهي استلاب العالم حقوقه ومصادرة إبداعه الإنساني لمصلحة حفنة خفية لا ترتوي أبداً ضمن عملية خداع عقلي وبصري هائلة.

أين فرسان الأمل أصحاب الفكر والثقافة الواقعيون؟ أين المتنورون والنورانيون وأصحاب التداخل لا التباعد، من يأخذ زمام المبادرة من أيدي أولئك العاجزين في الغرب، في الشرق، في الشمال، في الجنوب، تيارات سياسية، تيارات ثقافية فكرية اجتماعية، تيارات اقتصادية، من الأضعف منهم، من الأقوى، لمصلحة من تعمل البشرية؟ لله، للآخرة، للجنة، للنار، للرأسمالية، لم يعد هناك اشتراكية، ولا مادية جدلية، إنما الاستعداد الدائم يظهر لنا حروب ماء وغذاء وهواء وشمس وقمر وكواكب ونجوم، كيف سننجو مما نحن فيه؟ أليس تحركنا إلى الأمام أكثر يعني أننا نسير إلى المجهول؟ الجميع يعترف بأن الفيسبوك وتويتر وشبكة التواصل العالمية بشكل عام وحدت البشرية، وجعلت كوكبنا الحيّ صغيراً جداً، حتى إنه غدا منزلاً واحداً، يسكن فيه جميعنا، من منا يستطيع نكران ذلك؟ فهذه المخلوقات الإنسانية لها قدرات خارقة على صناعة الصدق والكذب في آن، تبث الإشاعة والعنف والسكون والخصومة والخصوبة في وقت متزامن، تقضي به على الأخلاق والكياسة والأناقة والنبل، وتضلل الحقائق، وأصبح لهذه الوسائل شعب وحكومات ووسائط وأدوات، حيث حولت الفضاء وحجمه الواسع إلى (ماوس) فأرة تشبه العضو الأنثوي، تدغدغه الأصابع محدثاً المتعة من دون أن تدري البشرية ما تفعل، ما إن تمسك به حتى يصبح الإغراء مطواعاً بين يديك.

دعونا نتأمل في هذه الظاهرة الخطرة التي اتجه إليها الجميع المستعدون من دون سابق إنذار للقفز بما هم فيه وعليه إلى المجهول، لم تعد سياسات العد من الواحد إلى العشرة مثمرةً، ولا حتى سياسات الخطوة خطوة ناجعة، الكل يستعد، ونتاج الحروب المبرمجة التي تمهد للعدوان نفسياً مسبقاً والاعتداء على الكل بالإصرار والترصد، ولم تعد تفيد الاجتماعات، أو التظاهرات، أو حتى المسيرات المؤيدة أو المعارضة، الكل يريد استباحة أو حتى احتلال الكل عالماً ملأته الفوضى، وساده الرعب، والاتهامات الجاهزة، إرهاب مستمر، ودعوات للتقشف وشد الأحزمة، الجياع لم يعد لهم بطون، لذلك نجد أن العالم يجند المقاتلين، والعالم أجمع أصبح يجيد القتال، وعلى استعداد تام للقتل، وأكثر ممن يسيطرون على العالم ونتاج رعبهم الهائل من الانفجار الكلي الذي لا بد أنه حاصل، محاولات لإيجاد تهدئة، واستنكار هنا أو هناك، وتنديدات وضغوط ومطالب بزيادة الضغوط، ترافقها مساعدات إغاثة طعام مع مزيد من الفتك، وهذا كله يساعد على تعزيز نظرية العصا والجزرة في وجه كل من يعارض أفكار السيطرة على العالم، شرعياً كان أم غير شرعي، مغتصب سلطة أو يحاول اغتصابها.

عالمٌ واحدٌ صغيرٌ كبيرٌ، يستعد برمته للقفز إلى المجهول، لماذا؟ لأنه افتقد الفرح، ولاح عليه الغضب من بعضه ومن ذاته، مشهده العام قاتم ومظلم، يستعبد بعضه بوقاحة وفظاظة، والمعركة التي نجده عليها جيوش متقابلة من الجائعين والحاسدين والمنافقين والفاسدين، تستعد بهدوء يملؤه الانفعال الشديد للتقاتل، ولذلك نقول: انتهت الحروب التقليدية، لأنها غدت ضمن الجيش الواحد، وبين أفراده وأفراد مجتمعه، الظلام ضد النور، فهي تخاض كل يوم ضد التكفير والتطرف والتعصب والإيمان والاعتدال، بين اليسار واليمين، بين الأعلى والأسفل، بين الحق والباطل، بين العلم والجهل، السواد الأعظم يريد العيش في جهالته، ويصرّ عليها، والندرة تستفيد من ذلك، وتقودها لبقائها في ذلك من خلال تعزيز خوفها من المجهول وزيادة نسبته في فكرها، ومن ثمّ دعوتها للقفز إليه من دون تردد.

د. نبيل طعمة